

211037 - الإسلام يحل مشكلات العصر ولا يصطدم مع حرية الإنسان وتطلعاته ورغباته

السؤال

الإسلام : هل يحل مشكلات الجيل المعاصر، أم يصطدم مع حريته ورغباته وتطلعاته نحو التقدم ؟

الإجابة المفصلة

أولاً :

دين الإسلام هو خاتم الأديان ، وهو المهيمن على جميع الكتب والشائع السابقة ، والناسخ لها، والجامع لأصولها ومحاسنها ؛ فهو الباقى إلى قيام الساعة ؛ كما قال تعالى: (وَأَنَّرَنَا إِلَيْنَا الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَمِّمًا عَلَيْهِ) المائدة/ 48 ، وقال سبحانه : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا) المائدة/ 3 .

ولذا كان من أهم خصائص هذا الدين العظيم : أنه دين شامل ، كامل ، ثابت ، خالد ، يصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، وهو - وحده - ضمانة سعادة الدنيا والآخرة ؛ كما قال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأنعام/ 162 .

ففي منهج الإسلام ما هو كفيل بحل جميع مشكلات الجيل المعاصر ، بل الدنيا بأسرها ؛ في جميع الجوانب : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وغيرها.

ونحن هنا ننقل لك كلمة أحد المفكرين الغربيين ؛ يقول : " لو كان محمد صلى الله عليه وسلم حيا : لحل مشاكل العالم أجمع وهو يحتسي فنجانا من القهوة " ، وقيل : الذي قالها هو الكاتب البريطاني جورج برنارد شو المتوفى سنة (1950م) .

وليس ذلك ضربا من المبالغة ، كما قد يبدو في حماسة العبارة ، بل هو بيان لطبيعة دور الرسول في صلاح البشر ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن مصلحا يتبنى أفكارا إصلاحية من عند نفسه ، بل كان نبيا رسولا يتبع ما أنزل إليه من ربها ، وبهذا أمره الله تعالى : (اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) الأنعام/ 106 .

والله جل جلاله : هو الخالق الرازق ، خلق الخلق ، وهو أعلم بما يصلحهم ، ويستقيم عليهم أمرهم ؛ كما قال تعالى : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَبِيرُ) الملك/ 14 .

ولينظر الليبب المنصف ، إلى حال بلاد العرب في الجاهلية ، وكيف كان أهلها فيها ، ثم لينظر إلى حالهم في الإسلام ، وسوف يرى حجم التغيير الذي أحدهه الرسول صلى الله عليه وسلم في هؤلاء ، ولم يكن ذلك عن أمره ، ولا عن عبقرية مصلح بشري ؛ إنما كان اتباعا منه ، ودعوة إلى النور الذي أنزل عليه من ربها .

وإذا كان الله جل جلاله قد قبض نبيه إليه ، وفقدنا شخصه من بين أيدينا ؛ فإن دينه ، وهديه ، وسيرته : ما زال كل ذلك حيا لم يتم ، جديدا في الناس ، لم يبل . قد تعهد الله تعالى بحفظه ، فقال سبحانه وتعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَرْزَقُنَا الذُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر/9 .

ولا يُخدع الإنسان بمشاكل العالم الإسلامي اليوم وتخلّفه ، فإن ذلك ليس بسبب تمسكهم بالإسلام ، بل بسبب بعدهم عن الإسلام ، فهم بعيدون عن الإسلام بمقدار تخلّفهم وانحطاطهم بين الأمم.

ثانياً :

أما اصطدام الإسلام مع حرية الإنسان ورغباته وتعلّمهاته ، فيليس الأمر كذلك ، والإسلام يراعي هذا الجانب من النفس البشرية ، جانب الرغبات ، ويقدر قدره ، وينكر على من يمنع النفس من تلك الرغبات ، ويعاند فطرته ؛ وإن كان يهذبها ، ويشرع لها ما يصونها ، ويحفظ عليها وظيفتها التي خلقها الله لأجلها .

ولذلك لما جاء بعض الصحابة رضي الله عنهم يستأذنون الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمتنعوا عن الدنيا تماماً وعن لذاتها ويترفّعوا للعبادة ، نهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يأذن لهم في هذا ، لأن هذا ينافي الإسلام ، والإسلام لم يطلب هذا من المسلمين ، وفي هذا يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : "رَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ التَّبَّاعَلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَّنَا" رواه البخاري (5074) ، ومسلم (1402) . "والتباعل : هُوَ تَرْكُ لَذَّاتِ الدُّنْيَا وَشَهْوَاتِهَا، وَالاِنْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالثَّقْرُعِ لِعِبَادَتِهِ" .

ولما جاء آخرون وأرادوا أن يمتنعوا أنفسهم رغبات النفس في الزواج والطعام والشراب والراحة ، فقال أحدهم : "أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّ اللَّيْلَ أَبَدًا ، [يعني : ولا ينام] ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطَرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَرْوَجُ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا لَا أَكُلُ اللَّحْمَ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ! أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي لَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ كُلُّمُ لَهُ، لَكُنِّي أَصُومُ وَأَفْطَرُ، وَأَصَلِّ وَأَرْقُدُ، وَأَتَرْوَجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنْنَتِي فَلَيَسْ فِتْنَةً) رواه البخاري (5036) ، ومسلم (1401) .

والإنسان إذا لم يهذب رغباته ، وأطلق لها العنوان : لم تقف عند حد ، بل ستنهي بالإنسان إلى درجة البهائم التي تلبي رغباتها في الطعام والشراب والشهوة بلا ضابط ، ولا قانون مضطرب ، ولا خلق قويم ، ولذلك وصف الله تعالى الكافرين المعرضين عن هديه بأنهم أضل من الأعمام ، فقال سبحانه : (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الأعراف/179 ، وقال تعالى : (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) الفرقان/44 ، وقال سبحانه : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالثَّارُ مَثُوَى لَهُمْ) محمد/12.

ولقد رأينا ، ورأى الناس ، كيف بلغ الحال بذلك التسيب ، والسعار الشهوي في الغرب ، ورأينا أن القوم لم يكتفوا بغض النظر عن الفساد الجنسي ، والشذوذ ، ولم يسمحوا به ، فقط ؛ بل صار زواج المثليين : مقبولاً ، مقنناً في بعض هذه الدول ، تعترف به الكنيسة نفسها !!

إن رغبات الإنسان كثيرة : المال ، والجاه ، والشهوة ، والترف ، واللهو ، والتمتع بكل ما حوله ، والتطلع إلى معرفة أسرار الكون والقوى الكامنة فيه ، والتطلع إلى تيسير الحياة بالاختراعات والاكتشافات ، والتطلع إلى تعمير الأرض ، التطلع إلى التغلب على جميع مشكلاته التي يواجهها في حياته ... إلخ .

فلماذا تقف النظرة القاصرة عند رغبة واحدة ، هي الرغبة الجنسية ..

ثم تقف عند هدف واحد لهذه النظرة المريضة : أن يطلق لها العنوان ، كيفما تشاء ؟!

فمتي كان الإنسان إنساناً ، لأجل ذلك السعار ، والانحطاط ؟!

ولم لا ينظر إلى حكم تهذيبها ، وتأديبها ، والمحافظة عليها ، والمحافظة على الناس منها ؟!

إن هدي الإسلام في ذلك ، هو هديه في شأنه كله : وسط ؛ فلا إفراط ، ولا تفريط ؛ لا يصطدم مع هذه الرغبات ، بل يهذبها ، ويسمح لها بالقدر الذي لا يسيء إلى الإنسان الذي كرمه الله ، بل يرقيه في سلم المخلوقات حتى يكون قريباً من الملائكة الذين خلقهم الله بلا رغبات ولا شهوات.

نسأل الله أن يكون فيما كتبناه كفاية ، مع أن الموضوع يحتاج إلى بسط أكثر وأكثر ، غير أن هذا هو الذي يت المناسب مع منهج الموقع وطريقته .

ونسأل الله تعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً ، وأن يقر أعيننا بذلك ، وأن يشفى صدورنا من أعداء هذا الدين .

والله أعلم .